المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما نهتم مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

بيت المقدس

(اورشليم او القدس والاماكن المشهورة فيها)

لحضرة نجيب افندي خوري نصار اللبناني في طبريا

هي المدينة الطائرة الصيت والذائعة الشهرة لاشتهارها بالوقائع التاريخية والحوادث الدينية التي جعلتها منذ ابتداء التاريخ المدني ذات شأن مهم في كل قرن تقريباً . فكانت شهرتها تتعاظم كلما تقادم عهدها حتى اشرأبت اليها اعناق الملوك وتسابقت الابطال الى اكتساب الشهرة بالحرب عند ابوابها والمدافعة عن أسوارها . وسعت الى السجود في معابدها رجال الدين وتاق الانقياء من كل ملة الى تأدية فرائضهم الدينية فيها معتقدين ان كل وطأة قدم من اديمها مقدسة بما وطئها من اقدام الانبياء والمرسلين

موقعها الجغرافي موقعها الجغرافي على سلسلة جبال كلسية قائمة في وسط فلسطين وعلى مسافة خمسة وثلاثين ميلاً الى الجهة الجنوبية الغربية من يافا في عرض شمالي ٤٧ ٣١ وطول شرقي ١٥ ٣٥ من كرينوج . وتعلو ٢٥٦٠ قدماً عن سطح البحر

والمدينة الاصلية محاطة بسورٍ محيطه ميلان وثلاثة ارباع الميل وارتفاعه نحو ثمانية وثلاثين قدماً وفيه اربعة وعشرون برجاً وثمانية ابواب اشهرها باب الخليل نسبة الى حبرون بلد ابرهيم الخليل . والافرنج يسمونه باب يافا وهو في جهة السور الغربية . وباب صهيون المعروف بباب النبي داود لانه واقع على جبل صهيون مدينة داود الاصلية في الجهة الجنوبية .

(الجامعة) رأينا من الفائدة بعد نشر تاريخ المسيح والرسل بقلم رنان ان ننشر هذه المقالة المسهبة التي تضمنت وصف المدينة العظيمة التي حدثت تلك الحوادث فيها

و باب العمود المسمى ايضاً باب دمشق والباب الحميدي الذي فُتح من عهد قريب وكلاهما في جهة المدينة الشمالية . والباب الجميل في الجهة الشرقية مسدود

اسواقها وابنيتها وسكانها اسواقها ضيقة وقذرة بسبب ازدحام الاقدام و بعض اقسام منها اقبية مظلمة وفيها منعطفات كثيرة وليس فيها انتظام كاسواق المدن الجديدة

والمدينة مبنية على اربع تلال يُفصل بينها باودية صغيرة يميزها الناظر من جبل الزيتون الواقع الى شرقيها . واسم هذه التلال صهيون وهو القسم الجنوبي الغربي الى المدينة والموريا او جبل الهيكل المقدس وهو القسم الجنوبي الشرقي منها . ويقابلها تلا اكرا و برانيا والمدينة الجديدة . وقد امتدت المدينة في السنين الاخيرة مسافة ثلاثة اميال الى الجهة الشمالية الغربية ونحو ميل الى الغرب وميل ونصف الى الجنوب الغربي وكثرت فيها الابنية المتقنة والقصور الشاهقة والمستعمرات الاسرائيلية وازداد عدد سكانها من خمسة واربعين الفاً في سنة ١٨٩٧ الى ما يزيد عن السبعين الفاً في يومنا هذا . منهم نحو تسعة آلاف من المسلمين و بينهم عائلات عريقة جداً في النسب كالاسرة الحسينية المتسلسلة من سيدنا الحسين ابن علي بن ابي طالب والاسرة الخالدية نسبة الى خالد ابن الوليد . ونحو عشرة آلاف من المسيحيين بينهم عدد من الارمن والاقباط والالمان والارام و بعض الاميركان . والباقون يهود من اسبانيا وجزائر الغرب وكردستان و رومانيا واوستريا وروسيا . واكثرهم هاجروا منها الينا في السنين الاخيرة بسبب ضغط بعض تلك الدول عليهم

ماؤها ولولا قلة المياه في القدس لنمت كثيراً عن ذلك وصارت ام المدن السورية رغماً عن رداءة فرضتها يافا وقلة محاصيلها لجدب الاراضي حواليها . وهي تستقي ماءها من الآبار الشتائية وقد جرّت اليها الحكومة السنية من مضي ثلاث سنوات مياه برك سليمان الواقعة على مسافة خمسة اميال الى جنو بيها باسطوانات حديدية . غير ان هذه المياه قليلة في جنب حاجة المدينة

هواؤها جيد على ما اختبرناه بانفسنا وسمعناه من اذكياء الاطباء الموجودين فيها . وهو معتدل بنسبة ارتفاعها عن سطح البحر

تاريخها يسمح لي القراء ان اكتفي بذكر المهمّ منه بايجاز لانه وان يكن غير خافٍ ما في مطالعة التواريخ المستوفاة من الفكاهة وما يجتنيه المدققون من متابعة ارتقاء وانحطاط البلدان بسلامة وفساد مبادئ الحكام والشعوب وغير ذلك من الفوائد كدرس اخلاق الرجال ومعرفة اطوار البشر فان ذكر ما قلّ ودل مراعاة لضيق المقام لخير من ترك الكل

اول ما ورد ذكر هذه المدينة في التوراة باسم شاليم مدينة ملكي صادق الكاهن العظيم . ويجدر بنا هنا ان نذكر حكاية عن ملكي صادق الذي لم تذكر لنا التوراة شيئاً عن سلالته . قيل : كان لملخي بن مولوخ ولد اسمه ملخي صادق فطلب اليه ابوه ان يذهب ويصطاد له عدداً من الغنم البرية ليقدمها ذبيحة لابيه مولوخ . فبينما كان الولد ذاهباً لقضاء هذه المهمة خطر له بالهام انه لا يجوز تقديم الذبائح لجده مولوخ الذي كان جباراً عاتياً . فعاد واخبر اباه بما خالج ضميره . فانتهره ابوه وامره بلزوم طاعته . فعاد الولد الى امه واخبرها ظاناً انها تشفع به عند ابيه . غير انها الحت عليه بوجوب تنفيذ اوامر ابيه لئلا يقتله . فضاقت الحيل على الولد ولم يجد سبيلاً في غير الفرار . فهرب من وجه ابيه ولجاء الى كهف في جبل الطور بقرب الناصرة وصمم على انكار ابويه وصلى الى الله ان يقتص منهما وممن يتبع ضلالتهما . فابتلعتهما الارض في معبد مولوخ . وبعد ان اقام مدة اربعين سنة متستراً في كهفه ومتنسكاً جاء مدينة شاليم (مدينة السلام وهي القدس) فوجده اهلها رجلاً صالحاً فاقاموه ملكاً عليهم

ودعيت القدس ايضاً يبوس نسبة الى اليبوسيين الذين لم يقوَ اليهود على طردهم منها وكانت عاصمة لهم حتى قبض داود على صولجان الملك على مملكة اسرائيل كلها فحصنها وجعلها كرسي مملكته وصارت تُدعى اورشليم والمدينة المقدسة ومدينة الملك ومدينة داود وصهيون وورد ذكرها باسماء اخرى كثيرة في التوراة . وبقيت عاصمة المملكة وكرسي الديانة مدة تنوف عن خمسمائة وخمسين سنة حاربها في غضونها المصريون والاشوريون وغيرهم . وفي سنة ٥٦٠ ق.م خربها نبوخذ نصر ملك بابل وسبي اهلها وجميع اليهود الى بلاده . ثم بعد غربة سبعين سنة عاد اليهود اليها واعادوا بناء اسوارها وهيا كلها . وفي سنة ٣٣٢ سلمت الى الاسكندر الكبير بدون حرب فدخلها باحتفاء جدير بعظمته وقدم فيها الذبائح والقرابين بمقتضى الطقوس الاسرائيلية . ثم انتهت الى حكم السلوقيين الذين اضطهدوا اليهود كثيراً ودنسوا هيكلهم بذبح الخنازير على مذبحه فهاجت لذلك احقادهم وتحركت الضغائن وفضّلوا الموت على اهانة شريعتهم فجاهر متيّاس الحشموني بالعصيان وكان من احدى عائلات رؤساء الكهنة وحرّض اليهود على ذلك فتبعه بعضهم واستفحل امر ابنائه يهوذا ويوناثان وسمعان وفازوا بمساعدة الامة كلها فخلعوا نير السلوقيين وكان ذلك في اواسط القرن الثاني قبل المسيح . وحاربوهم وابناءهم حروباً مجيدة انتصروا فيها انتصارات باهرة ذكرها يوسيفوس (اخبار اليهود كتاب ١٢ و١٣ وحروب اليهود كتاب ١) . ولكن حب الرئاسة

افضى باختلاف ارستوبيولس وهركانوس . فطلب هركانوس مداخلة بومبيوس القائد الروماني فدخل هذا المدينه بعد قتال شديد مع انصار ارستوبيولس . قال يوسيفوس : ان الرومانيين تعجبوا كثيرًا يومئذٍ مما شاهدوه من ورع كهنة اليهود الذين لم ترعهم جنود الاعداء بهجومها على الهيكل وقتلها كل الذين كانوا فيه بالحراب والخناجر بل بقوا يمارسون وظائفهم الدينية بكل هدوء واحترام . وهكذا قضي على استقلال اليهود بوقوعهم تحت سلطة الرومان الذين قبضوا على ازمتهم بايدٍ فولاذية واقاموا عليهم الولاة الرومانيين . غير ان بعض هئولاء الولاة عاملوهم بقسود ادّت بهم الى التمرد والمقاومة فانتهز هيرودس الكبير (وهو ابن انتيباتر رجل ادومي دخل في خدمة الحشمونيين وتزوج منهم) فرصة هذه الاضطرابات والقلق الذي حدث في رومية على اثر قتل الامبراطور وتداخل مع مرقص وكاسيوس اللذين اتيا سوريا للاستيلاء على فرق الجيوش الرومانية المرتبة للبلاد فولياه على سوريا لانهما شهدا منه اقتدارًا ودهاءً سياسيين امّلاهما بالانتفاع منه عند الحاجة . ولكن القلاقل المستمرة اضطرته الى الذهاب بنفسه الى روميه فتمكن بدهائه ومساعدة انطونيوس والاحوال من الفوز برضى القيصر وتسميته ملكاً على سوريا . فعاد اليها وحارب القدس حربًا شديدة وقتل انتيكونوس آخر سلالة ملوك الحشمونيين الذين حكموا في شعبهم اليهود ١٢٦ سنة . وحصن هيرودس سور المدينة الثاني بثلثة ابراج منيعة سماها هيبيكوس وفاسيلوس ومريمنا واعاد بناء الهيكل وحصن برجه الذي دعاه انطونيا وسيأتي استيفاء الكلام عليه في محله . واقام ابنية شاهقة عظيمة ومحلات ملاهي وملاعب وتماثيل كثيرة في المدينة على الطراز الروماني . غير انه كان كثير المخاوف والشكوك ولذلك لم يستروح هو ولا البلاد التي كان يملك عليها . وقد اغرته وساوسه بارتكاب جرائم فظيعة كقتل امرأته المكابية وولديها وكثيرين من اخصائه واصحابه . وانقسمت المملكة اليهودية بعد وفاته الى اربعة اقسام تولى ارخيلاوس ابنه قسم اليهودية منها ولكنه لم يحسن الادارة فنفي وخلفه ولاة رومانيون . ثم انتهى الملك في ايام القيصرين كايوس وكلوديوس الى اغريباس الاوّل حفيد هيرودس وكان هذا رجلاً حكيماً تمكن من التسوية بين مطالب الحكومة الرومانية في اخضاع رعاياها لاحكامها خضوعاً تاماً واليهود الذين لم يكن قد مرَّ عليهم الزمان الكافي لنسيان لذة الحرية . وبنى سور المدينة الثالث حول المدينة الجديدة وحصنه بتسعين برجًا . وبعد موته أُعيدت الولاية لولاة رومانيين فجاهر اليهود بالعصيان وبدأوا بتحصين المدينة واتموا بناء سور اغريباس الذي كان أُوقف

بناؤه بامر قيصري. وارسلوا يوسيفوس المؤرخ فحصن الجليل. ولكن لم تعد تقوى الجيوش الرومانية التي كانت في البلاد على اخماد نار الفتنة والقاء اليهود في قيد طاعتهم. فاوفدت لهم روميه فسباسيانوس القائد الشهير لتدويخهم فحارب مدن الجليل واخذها كما سيجيء. ثم علم بموت القيصر فتوجه الى رومه ليتبوأ عرش الامبراطورية تاركاً القيادة لابنه طيطس الذي جاء القدس واصلاها تلك الحرب الحامية اذ احاط اسوارها احاطة السوار بالمعصم وشدّد عليها الهجمات وحبس عنها المؤن وقطع عنها المواصلات. وكان المحاصرون في داخل المدينة مقسومين الى اربع فرق تحارب بعضها بعضاً. وكان زعماؤها يرتكبون فظائع بربرية. فعمّ الويل والبلاء واشتدت في المدينة المجاعات ومع ذلك كان طيطس بالرغم عن شدة بأسه يلاقي اشد الصعوبات في اثناء هجماته على المدينة. وبعد انقضاء شهرين على اقامة الحصار فاز بدكّ اسوار المدينة الجديدة واستولى بعد ذلك بشهر على برج انطونيا فحرق احد جنوده الهيكل العظيم بمشعل نار رماه في داخله. ثم لاقى بعد ذلك مقاومات عنيفة مدة شهر كامل من الذين كانوا يحاصرونه في مدينة صهيون العليا. وبعد ان تمّ له النصر هدم اسوار المدينة وحصونها وابنيتها كلها ما عدا الابراج الثلاثة هيبيكوس وفاسيلوس ومريمنا التي بناها هيرودس فانه ابقاها لاسكان بعض الجنود التي تركها في القدس ولتكون مثالاً لمناعة الحصون التي قويت جنوده على فتحها. واطلق الحرية لاربعين الفاً من اليهود واخذ الباقين وهم نحو ٧٩ الفاً اسرى. وكان ذلك في سنة سبعين بعد الميلاد المسيحي

وفي سنة ١٣٦ بدأ الامبراطور ادريانوس باعادة بناء المدينة ولكنه لم يسمح لليهود بالاقامة فيها بل فرقهم في البلاد خوفاً من عودهم الى العصيان. لكنهم لم يلبثوا ان شقوا عصا الطاعة بامرة رجل يهودي يُدعى باركوخبا واستولوا على القدس وعدة محلات اخر فاسترجع الامبراطور جيوشه التي كانت تحارب بقيادة يوليوس سفروس في بريطانيا وبعث بها الى البلاد السورية فبددت شمل العصاة واستعادت البلاد التي كانوا قد استولوا عليها وعاد هو الى اتمام بناء المدينة وبنى اسوارها على الاسس القديمة الا من جهة الجنوب فانه ضيقها قليلاً من الاودية ودعاها كولونيا غاليا كابيتولينا وبنى فيها على اسس الهيكل هيكلاً لجوبتير وبنى هيكلاً آخر للزهرة في محل كنيسة القبر المقدس الحالية. وبقي اسم المدينة الجديد عليها مدة مئتين وخمسين سنة اذ اعاد لها الملك قسطنطين اسمها الاول واذن لليهود بزيارة القدس والدنو من اسوارها ثم اذن لهم بالدخول اليها ليبكوا وينوحوا على خراب هيكلهم المقدس

قيل ان اليهود كانوا في القرون الثلاثة الاولى كلما تشددت ايديهم يضطهدون المسيحيين وقد بالغوا في اضطهادهم اثناء ثورة باركوخبا فاضطر المضطهدين ان يتحاشوا كل مداخلة معهم وصاروا ينتخبون مطارنتهم من الامم المتنصرين فقط . وكان اسم اول مطران انتخبوه في ايام باركوخبا مرقص ثمنه حتى ايام قسطنطين الملك قام ثلاثة وعشرون مطرانًا

قال يوسيبيوس ان تنصر قسطنطين ازال عقبات كثيرة من طريق الديانة النصرانية وكان لزيارة امه هيلانة في عجزها للقدس اشد التأثير على النفوس حتى صار الناس يتقاطرون لزيارتها من جميع اطراف المعمور . وفي سنة ٤٣٥ قرر مجمع كاليدونيا جعل القدس كرسي بطريركية و بنى فيها الامبراطور جوستينيانوس في اوائل القرن السادس كنيسة وعدة اديرة ومستشفى للزوار وآخر للغرباء . وفي اوائل القرن السابع اشاع بعض رجال الدين انهم حصلوا على عظام القديسيين فصارت الاديرة تفاخر باحرازها وتبيعها للزوار باثمان غالية . وصارت بعد ما انتشر خبرها في البلدان تجارة مهمة . ومما تقدم يتبين انه مضى على القدس مدة الثلاثة القرون الاول بعد المسيح وهي تحت حكومات امية والثلاثة الأخر تحت حكومات مسيحية

وفي سنة ٦١٤ استولى خسرو على القدس فاسترجعها هيراقليوس منه في سنة ٦٢٨ وسنة ٦٣٦ حاصرها ابو عبيده قائد العرب فابى بطريركها ان يفتح ابوابها لغير الخليفة نفسه فجاءها الامام عمر بن الخطاب وامّن اهلها على دمائهم واملاكهم ودخلها وصلى على مقربة من باب كنيسة القبر المقدس حيث شاد المسلمين جامعًا . ولم يرضَ ان يصلي في القيامة نفسها لئلا يطلب المسلمون الاستيلاء عليها بعده . وامر ببناء الجامع الاقصى وصارت المدينة منذ ذلك العهد باسم القدس و بيت المقدس . وفي اواسط القرن الثامن اتصلت الخلافة بالعباسيين فاتخذوا بغداد كرسيًا لهم وحدث في ايامهم اضطهاد على المسيحيين دام حتى بداية القرن التاسع اذ تولى الخلافة هرون الرشيد المشهور بالعدالة وكرم الاخلاق فدفع المظالم وسمح للمسيحيين باعادة كنائسهم واديرتهم . ولم يحد ابنه المأمون عن خطة ابيه بعد ما رقي كرسي الخلافة فارتاحت البلاد بظل دولتها وراجت الاشغال واطأنت قلوب الناس . غير ان الخلاف بعدهما افضى الى انحلال الدولة العباسية وقيام الدولة الفاطمية التي لم ينتبه خلفاؤها الى القدس و راحة اهلها فاضطهد المسيحيون مدة خلافتهم وعومل زوار الافرنج بخشونة نشأت عنها الحروب الصليبية المشهورة التي هلكت حملتها الاولى قبل وصولها

الى الديار السورية . واما الحملة الثانية فاستولت على الشواطئ السورية و بعض داخليتها وعلى البلاد الفلسطينية وجعلت القدس عاصمة لها وسمي كودفروى ملكاً عليها . و بقيت البلاد في ايدي الصليبيين مدة ثماني وثمانين سنة قام في غضونها ثمانية ملوك على القدس فبنوا فيها عدة ابنية ومستشفيات وحصون وكنائس وحاربوا المسلمين عدة حروب و بنوا في البلاد عدة قلاع جسيمة منيعة لم تزل آثارها تشهد لهم بالقوة واتقان صناعة البناء . وسنذكر اشهر هذه المحلات في مقالاتنا التالية . وفي سنة ١١٨٧ قام الملك صلاح الدين الايوبي فجمع كلمة المسلمين وساقهم الى محاربة الصليبيين على اثر تعدي امير الكرك على قافلته وانتصر عليهم تلك النصرة الباهرة بعد واقعة حطين الشهيرة الآتي ذكرها فيما بعد . واستولى على القدس وطرد الافرنج منها وحصن اسوارها وحصونها لانقاذ هجمات ريشارد قلب الاسد بطل الحملة الصليبية الثالثة الذي حارب صلاح الدين في عدة مواقع واسترجع بعض المدن البحرية من ايدي المسلمين وانتهت المحاربة بينهما بمعاهدة اعطيت فيها الشطوط البحرية بين يافا وصور للفرنج والغيت الرسوم التي كان المسلمون يأخذونها من زوار الفرنج . وهكذا حُسم الخلاف وعُقد الصلح بين بطلي الشرق والغرب في عصرهما اللذين كانت كرامتهما وانفتهما تحليان صفاتهما ومزاياهما الحربية . وفي سنة ١٢١٩ هدم الملك المعظم اسوار القدس خوفاً من ان يستولي الافرنج عليها و يتحصنوا فيها . وسنة ١٢٢٩ اعطيت لفردريك الثاني على شرط ان لا يبني اسوارها غير ان الفرنج بنوها بعد ذلك بعشرين سنة فجاءها امير الكرك وهدمها . وسنة ١٢٤٤ اخذها خرزميان . ولا يخفى ان تداول الايدي واختلاف مشارب العمال عليها والحروب المتوالية والضغط المتبادل حط من عظمتها وقلص ظل تقدمها كثيراً . وسنة ١٥١٧ خضعت البلاد للسلطان سليم فزار القدس بعد عودته من مصر . وسنة ١٥٤٢ بنى السلطان سليمان ما كان متهدماً من اسوارها واحدث فيها وفي ابنية الحرم اصلاحات مهمة . ولم تزل من ذلك العهد حتى يومنا هذا تحت ظل الدولة العلية العثمانية وقد اخذت في هذا العصر تنمو نمواً سريعاً . وربما لا يمضي عليها على ما نظن زمن طويل حتى تصير تضارع اختيها بيروت والشام

الاماكن المشهورة في فلسطين

الحَرَم

هو المكان البالغ في قدميته حد نشأة اول المذاهب الصحيحة . فحق له ان يُدعى مهد الهدى في ارضنا . وقد تداولته ايدي دول المذاهب الثلاثة فاتفق شعوبها على

احترامه وتقديسه . موقعه على جبل الموريا في جهة المدينة الجنوبية الغربية في فناء طوله ١٥٣٠ قدماً انكليزياً وعرضه ٩٧٠ قدماً طبقاً لقياس مجير الدين وهو ٦٩٩ ذراعاً طولاً و٤٠٦ اذرع عرضاً . وذلك يساوي ربع مساحة المدينة الواقعة داخل السور تقريباً

تاريخه في رواية التوراة ان ابرهيم الخليل قصده ليقدم ابنه اسحق ذبيحة عليه . وهناك تراءى الرب لداود فبنى مذبحاً . وحول المذبح بنى سليمان هيكله العظيم . ولما لم يكن سطح الجبل كافياً لبناء هذا الهيكل اقام له جدراناً بناها بحجارة ضخمة جداً بناءً متيناً من جهتي وادي يهوشافاط الشرقي ووادي التيروبيون (اي الجبانين) الجنوبي ملأها باقبية كبرى تساوت سطوحها بسطح الجبل فاتسعت المساحة لابنية الهيكل . وكان هذا الهيكل مؤلفاً من قدس الاقداس الذي لم يكن يدخله الا رئيس الكهنة مرة في السنة للتكفير . والقدس قدامه من جهة الشرق وهو المكان الذي كان الكهنة يمارسون فيه وظائفهم الدينية ودار الشعب امام القدس احيطت بجدار فيه اربعة ابواب من جهاته الاربع . ودار اخرى خارجية للامم

وكان الهيكل كله محاطاً بعدة اروقة . وقد كانت تلك الابنية غاية في العظمة والاتقان . وبعد ان اتم سليمان بناء الهيكل في سنة ١٤٤٠ بعد الطوفان وصل بينه وبين جبل صهيون الذي كان قصره مبنياً عليه بجسر كبير فوق وادي التيروبيون . وقد اقتضت الحروب والمحاصرات هدم ذلك الجسر واعادة بنائه مراراً حتى رُدم الوادي واختفت آثار الجسر وبقيت مجهولة الى ان اكتشفها العلامة الدكتور روبنصن الشهير فدعيت من ذلك الوقت باسم (اقواس روبنصن) وآثارها ظاهرة في حائط سور الجامع الاقصى الغربي . ـ وصار الهيكل بعد بنائه كعبة بني اسرائيل وصار الحج اليه فريضة واجبة ثلاث مرات في السنة على كل اسرائيلي تجاوز السنة الثانية عشرة من عمره

وفي سنة ٥٩٠ (ق م) خربه نبوخذنصر ملك بابل وسبى اليهود الى بلاده واسكن مكانهم السمرة . ولكن اليهود عادوا بعد غربة سبعين سنة كما تقدم وتمكنوا بعد مقاومات شديدة دامت مدة طويلة من اعادة بناء الهيكل . الا انهم بنوه اصغر كثيراً من هيكل سليمان واقل منه ظرفاً واتقاناً . وقد جاء في التوراة ان شيوخهم الذين كانوا يعرفون الهيكل الاول حزنوا وبكوا لما رأوه من حقارة الهيكل الثاني

ولما استقام الملك لهيرودس الكبير بين السنة الثلاثين والعشرين (ق م) رغب في ان يصلح ذات البين بينه وبين اليهود الذين كانوا حانقين عليه لانه قتل انتيكونوس آخر سلالة

ملوكهم الحشمونيين فعرض عليهم ان يبني لهم هيكلاً جديداً يفوق هيكل سليمان كبراً وعظمة . فارتابوا بصدقه ولذلك اعدّ مواد البناء قبل ان أذنوا له بهدم الهيكل الثاني . واقام من وراء جدران سليمان على جانبي الوادبين المذكورين جدراناً لتوسيع نطاق المساحة . واقام عوضاً عن الهيكل الثاني هيكلاً كبيراً في غاية الظرف واتقان البناء وضخامة الحجارة المنحوتة وزينه من الداخل اجمل زينة . وقد بالغ يوسيفوس في وصف هذا الهيكل في كتابه اخبار اليهود كتاب ١٥ فصل ١١ وحروب اليهود كتاب ٥ فصل ٥ . وحصن هيرودس الحصن المبني على صخرة شاهقة قائمة في زاوية فناء الهيكل الشمالية والشمالية الغربية وسماه انطونيا تيمناً بانطونيوس قيصر وقد كان امراء الحشمونيون يسمونه باريس . وتحت تلك الصخرة حتى لا يتسلقها الاعداء في وقت الحرب ووضع في البرج شرذمة من العسكر الروماني كان يعززها في مدة الاعياد خوفاً من ثورة اليهود . وهذا هو الهيكل الذي يذكره الانجيل وهو الحصن الذي لاقى امامه طيطس المقاومات العنيفة والوقائع التي تشيب لها الولدان رغماً عن شدة بأس عساكره ودربته الحربية قبل ان تمكن من دكه . وقد حرق الهيكل في هذه الحرب كما تقدم ولكن لم يكن لطيطس يد ولا رغبة في هذا العمل القبيح

واعاد ادريانوس بناء الهيكل في القرن الثاني وكرسه لجوبتير . وقد قال سائح : انه رأى هيكل ادريانوس ورأى تمثال جوبتير قائماً بجانب الصخرة . وفي بعض الاقوال التاريخية ان القديسة هيلانه بنت هناك كنيسة . ولا خلاف في كون جوستينيانوس بنى في القرن السادس كنيسة كبرى متقنة للعذراء في محل الجامع الاقصى الحالي

ثم ان الخليفة عمر ابن الخطاب امر ببناء جامع من خشب بجانب الصخرة ذكره اركولفوس في القرن السابع . وفي سنة ٦٠٨ مسيحية امر الخليفة عبد الملك ببناء قبة الصخرة الحالية الواقعة في اعلى نقطة من فناء الحرم فوق الصخرة بشكل مثمن . واما حيطانها من الخارج فهي مغطاة من الاسفل ببلاط رخامي وقد صفح الاقسام العلوية منها السلطان سليمان بالواح صينية جميلة خطت عليها آيات قرآنية . والقبة نفسها مغطاة بالرصاص ولها اربعة ابواب كبرى مربعة وامام الباب القبلي رواق مفتوح قائم على ثمانية اعمدة رخامية . واما داخل القبة فقطره ١٧٤ قدماً . وهو مقسوم الى ثلثة اقسام بصفي اعمدة مستديرين . الصف الاول يحتوي على ستة عشر عموداً عليها ثماني قناطر والصف الآخر الامامي القائمة عليه القبة نفسها يحتوي على اثنى عشر عموداً عليها اربع قناطر . وقد غطيت قواعد هذه الاعمدة بالرخام في القرن السادس عشر لانها مختلفة الاشكال . والاعمدة كلها رخامية

مختلفة الالوان والحجم وكذلك رؤوسها مختلفة الاشكال . ويرجح انها من اعمدة هيكل ادريانوس ومن كنيسة الملك قسطنطين . واقسام الجدار العلوية مرصعة بالفسيفساء الدقيقة الملوّنة برسوم آنية ازهار وسنابل حنطة وقطوف عنب على ارض ذهبية ترصيعاً يأخذ بمجامع القلوب . وقد قيل ان اشهر صناع البيزانتيين في القرن العاشر صنعوا تلك الصنعة الباهرة . ومما يزيدها جمالاً ورونقاً الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي بلون ذهبي على بحر سماوي . واما الشبابيك فهي صفان الواحد فوق الآخر وكل برواز منها مركب من قطع زجاج صغيرة ملوّنة بالوان عديدة تضعف نور الشمس وتكسره فتبعثه الى الداخل محجوباً خجلاً مما يقابله من جمال وبهاء النقوش الداخلية البديعة . وقصارى القول ان القلم يعجز عن وصف ظرف هذا الجامع واتقان الصناعة الظاهرة فيه . وقد نُقل رسمه في ايام الصليبيين الى اوروبا فشيدت عليه الكنائس في عدة مدن منها . قال لنا جملة من سياح الفرنج الذين زرناه واياهم . انه يفوق جوامع الاستانة ومصر ظرفاً وبهاءً

اما القبة نفسها فعلوها ٩٩ قدماً وقطرها ٦٦ قدماً . وهي مبطنة من الداخل بالخشب الملون بالازرق المزين باقلام الجبسين المذهب . والقبة قائمة فوق الصخرة المقدسة التي يبلغ طولها سبعة وستون قدماً وعرضها ثلاثة واربعون . وهي منقورة في الوسط او قربه ولذا ظن بعض الكتبة ان محل مذبح المحرقة الاسرائيلي كان عليها . واليهود يقولون ان اسم الله مكتوب عليها . وبعض المسلمين يعتقدون انها آتية من الجنة وان الحق عز وجل سيجلس عليها في يوم الدين ليدين البشر . ولقد حوّل الصليبيون هذه القبة الى هيكل بعد ما استولوا على القدس ووضعوا المذبح على الصخرة بعد ان صفحوها بالبلاط الرخامي . وبقيت كذلك الى ايام صلاح الدين الذي اخذها من ايدي الصليبيين واعادها لما كانت عليه . وبقربها بلاطة صغيرة يسمونها بلاطة الجنة . ويوجد ضمن هذا البناء البديع عدة اشياء أخر صغيرة تستلفت الانظار ولا محل لذكرها هنا

وامام باب قبة الصخرة الشرقي المدعو باب السلسلة قبة اخرى صغيرة جميلة قائمة على صفي اعمدة تدعى محكمة داود . والى الشمال الغربي من قبة الصخرة قبة المعراج . ويوجد ايضاً قبتان صغيرتان تدعيان قبة الارواح وقبة الخضر . وهناك ايضاً منبر مبني من الرخام بناءً انيقاً يخطب فيه الائمة في ايام الجمعة

﴿ الجامع الاقصى ﴾ ويقابل قبة الصخرة التي يدعوها الفرنج جامع عمر الجامع الاقصى (عن الكعبة) واصله كنيسة بناها جوستينيانوس في القرن السادس وحوّلها الامام عمر بن

الخطاب الى جامع . وقد وجده المهدي في القرن الماضي متهدماً على اثر زلزلة فاعاد بناءه ولكن باختصار في طوله وزيادة في عرضه . وطوله ٢٥٠ قدماً وعرضه مئة وخمسون وهو قائم على صفي اعمدة بيزانتية لا شك في كون بعضها لم يزل قائماً في مكانه من عهد جوستينيانوس

اما قبة هذا الجامع فمصفحة من الخارج بالرصاص وداخلها اشبه بقبة الصخرة بترصيفها بالفسيفساء وتكوين شبابيكها . وبجانب المحراب منبر من خشب مطعم بالعاج واللؤلوء اتى به السلطان صلاح الدين من مدينة الشهباء . ووراء المنبر اثر قدم السيد المسيح . وفي جانبه الجنوبي محراب باسم زكريا تذكاراً لاستشهاده بين الهيكل والمذبح . ودعي قسم من تلك الجهة من الجامع الاقصى جامع الاربعين شاهداً

ويلاصقه من الجهة الغربية جامع النساء المدعو ايضاً الجامع الابيض القائم على صفين من الاعمدة ولعله من بقايا الابنية التي شادها الصليبيون . وتحت الاقصى اقبية بيزانتية قائمة على اعمدة وقناطر قوية متينة البناء يقول بعضهم انها كنيسة القديسة هيلانة ويقول آخرون ان جوستينيانوس بناها لتسوية ارض الجامع . وفي الفناء الوسيع عدة آبار اكتشف على سبع وثلاثين منها . منها بئر الورقة داخل الاقصى وامامه بئر عين الكاس التي كان يأتيها الماء من برك سليمان

اصطبلات سليمان وتحت قسم من هذا الفناء اقبية واسعة مرتفعة قائمة على ثلاثة عشر صفاً من القناطر المبنية بالحجارة الكبرى تدعى اصطبلات سليمان . ولعلها استخدمت لهذه الغاية في زمن الصليبيين . ومن شكل بنائها يُستدل انها من القرن السادس بعد المسيح . والمسلمون يدعونها المسجد القديم . وفي جدارها الشرقي عند اسفل الدرج بعض حجارة ضخمة قديمة يعتقد الخبيرون انها من بناء هيرودس . قالت جمعية البحث عن الآثار الفلسطينية : ان بناء الباب الجميل وعدة من اقبية الآبار التي ذكرناها ترجع الى القرن السادس

موقع الحرم القديم والحديث اجمعت آراء المدققين على كون دائرة الحرم هي ذات دائرة الهيكل الذي بناه هيرودس . لان الصخرة الكبرى الواقعة في زاوية الدار الشمالية الغربية التي يقول يوسيفوس ان الحشمونيين بنوا عليها برج باريس الذي حصنه هيرودس لم تزل قائمة شاهداً بعدم تغيير تلك الزاوية . وقال يوسيفوس ان اروقة هيكل هيرودس امتدت من الوادي الى الوادي . وان سور الارفل اتصل باروقة الهيكل الشرقية . وقد اكتشف السير تشارلس ورن حائطاً على تل الارفل ملاصقاً لسور الحرم في

زاويته الجنوبية الشرقية فجاء اكتشافه هذا مؤيداً القول يوسيفوس ولكون الفسحة لم تتغير من تلك الجهة ايضاً . ولم يختلف الثقاة في كون الزاوية الجنوبية الغربية الحالية هي في مكان الزاوية القديمة ولكنهم اختلفوا في الزاوية الشمالية الشرقية . فمنهم من قال بكونها على مكان الزاوية القديمة وخالفهم آخرون بقولهم ان القديمة كانت عند الباب الجميل

وقد اتفق اكثر الرواة على كون قدس الاقداس كان قائماً على الصخرة المقدسة معتمدين في ذلك على مناسبة موقعها . وقول يوسيفوس بان قدس الاقداس كان في أعلى نقطة من دائرة الهيكل التي هي الصخرة . وكل الاقيسة لجميع الامكنة التي ذكرها يوسيفوس تطابق المواقع الحالية بنسبتها الى علو الصخرة . وخالفهم البعض في ذلك متخذين لتأييد آرائهم براهين اخرى لم يحتفل بها الرأي العام

البراق

محل نواح اليهود

يأتي اليهود في عصارى كل الايام خصوصاً في ايام الجمعة لينوحوا على زوال مجدهم فيقفون امام هذا الجدار وهو قسم من جدار سور الحرم بجانب زاويته الجنوبية الغربية . علوه ست وخمسون قدماً وحجارة قواعده السفلى كبيرة جداً . وقد اثرت عليها فواعل الطبيعة والزمان حتى بالغ بعضهم في قدميتها فقالوا انها من ايام هيرودس . وهناك يبكون على حالتهم ويتذكرون ازمانهم ويصلون الى الله ان يعيد لهم سابق مجدهم وهذا بعض ما يقولونه باصوات حزينة وبكاء مر

(يقول الحاخام) من اجل الهيكل المقدس العظيم (فيرد الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل اسوار هذه المدينة الساقطة (« الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل مملكتنا التي بادت (« الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل رؤسائنا الذين ماتوا (« الجماعة) نقف بذلة وننوح الخ

ثم يقول آخر

(حاخام) آه تحنن على صهيون (الجماعة) واجمع شتات ابناء اورشليم
(حاخام) اعد سابق مجدك لصهيون (الجماعة) وانظر مترحماً اليها . الخ

ثم تُقراء مراثي أُخر وتُقدم صلوات عديدة كهذه في هذا المكان . ولا ريب ان هذه العادة نشأت من بعد صلاة سليمان التي قدمها امام المذبح بعد فراغه من بناء الهيكل . ومضمونها انه مهما اشتدت الضيقات على شعب اسرائيل وصلوا الى الله باسطين ايديهم

نحو الهيكل فان الله يستجيب لهم . وقد تقدم القول ان ادريانوس منع اليهود من دخول اورشليم والدنو من اسوارها . واما قسطنطين فقد سمح لهم بالدخول اليها لينوحوا على خرابها وخراب الهيكل . ولعلهم اختاروا هذا المكان لهذه الغاية من ذلك العهد . وقد اشار بنيامين توريلا في القرن الثاني عشر الى هذا الحائط . غير ان الكتبة المسيحيين والمسلمين لم يعيروه جانباً من الاهمية . فلم يأتوا على ذكره البتة

كنيسة القيامة

وقبر المسيح

قال يوسيفوس : ان ادريانوس بنى في هذا المكان هيكلاً للمريخ وانه اوحي الى قسطنطين بعد ان تنصر ان يطهره من ادناس الوثنيين وان يقيم عليه كنيسة . فبناها فوق القبر وزينها بالاعمدة والنقوش الجميلة وبلط فسحة امامها من جهة الشرق ببلاط منحوت رمزاً الى البستان الذي صُلب فيه السيد . واقام الكنيسة على صخرة الجمجمة او الجلجلة شرقي الفسحة وصفح حيطانها بالرخام الملون وزين سقفها بنقوش حفرية انيقة حلاها بالذهب وغطى السطوح بالرصاص وجعل لها ثلاثة ابواب كبرى من جهة الشرق واقام امامها اثني عشر عموداً بشكل نصف دائرة تذكاراً للتلاميذ . وفي سنة ١٤٦١ احرق العجم في غزوتهم بقيادة خسرو الثاني هذه الابنية بالنار ولكنها اعيدت بمساعي راهب يدعى مورستوس وبمعاونة بطريرك الاسكندرية سنة ٦٢٨ . وفي سنة ٨٧٠ ذكر برنهارد فيضان النور من القبر المقدس في يوم السبت الواقع قبل عيد الكبير عند الطائفة الشرقية . وسنة ٩٦٩ احرقت القيامة بالنار فبنى تجار املفي من اعمال ايطاليا سنة ١٠٠٤ ديراً وكنيسة للعذراء على مقربة من القبر المقدس . وبني بعد ذلك دير للراهبات بالقرب من هذه الابنية . ثم اقتضى الامر بناء مستشفى للزوار وعُزي الى يوحنا اليمون بطريرك الاسكندرية . وفيه تألفت في عهد الصليبيين فرقة فرسان ماري يوحنا حامية القيامة . وهذا هو المكان الذي وهبته الحكومة لجد امبراطور المانيا الحالي فاقام هذا على قسم من آثاره كنيسة احتفل بتدشينها بحضور جلالته . وفي سنة ١٠١١ خرب القيامة حاكم الرملة وقد كان يسمى رئيس جند فلسطين فاعيد بناؤها بتوسط الملك رومانوس في سنة ١٠٤٨ . واحاط الصليبيون جميع ابنيتها بهيكل كبير اذ شاهدوا حقارتها . وسنة ١٢٤٤ خربها خرزميان فبُنيت سنة ١٣١٠ بغاية الاتقان . وفي سنة ١٨٠٨ التهمت النيران كنيسة الارمن فيها وقبة القبر المقدس وكنيسة الروم الارثوذكس واحدثت اضراراً غير يسيرة في عدة محال اخر ولكنها اعيدت في مدة سنتين الى ما كانت عليه من

الظرف باحكام زائد حتى صار يتعذر التمييز بين ما أُصلح وما كان

الكنيسة الحالية هي تختص بالروم الارثوذكس والارمن والكاثوليك والاقباط والسريان واشهر ما فيها كنيسة الجلجلة الى جنوبي الباب وهي مقسومة الى قسمين قسم منها يختص بالروم الارثوذكس والآخر بالكاثوليك . وكنيسة الارمن الى شماليه . وامامه من الشرق كنيسة الروم الارثوذكس وهي اكبر الكنائس واجملها بما فيها من النقوش والزين والثريات الثمينة . وامام هذه من الشمال القبر المقدس القائمة عليه القبة الكبرى وهو مبني بالرخام الجميل ومزين بالقناديل الذهبية والفضية والمعدنية . والى الشرق منه الكنيسة الكاثوليكية وفيها العمود الذي رُبط اليه السيد ليُجلد ووراء هذه الابنية من جهة الجنوب كنيسة بيزانتية لم تزل اعمدتها تشهد بكونها من ايام مورستوس وهي التي بناها على آثار كنيسة قسطنطين . ويُنزل من هذه الكنيسة بثلاث عشرة درجة الى المغارة التي اكتشف فيها قسطنطين خشبة الصليب . ويوجد محلات اخر عديدة تستحق الذكر ولكن ضيق المقام يلجئنا الى ان نضرب صفحاً عنها

البحث في صحة موقعها يعتقدون بصحة هذا المكان منذ القديم معتمدين على رواية يوسيبيوس التي ذكرناها . وعلى الاقوال التقليدية بكون القديسة هيلانة هي التي اوحي اليها بناء الكنيسة قبل قسطنطين ابنها . وعلى كون الوثنيين وفي مقدمتهم ادريانوس في الجيل الثاني بنوا هيكلاً لالهة اخرى في هذا الموقع بالنظر لما رأَوه من احترام المسيحيين الاولين له . ويتخذون مثل هذه الادلة برهاناً على كون التاريخ لم يُضع تلك النقطة فلم يبق باب للاشتباه بها . فضلاً عن كونهم يعتبرون المدافن القديمة التي اكتشفت داخل الكنيسة اليعقوبية المنقورة في الصخر مدافن ليوسف ونيقوديمس . ولا يشكّون في كون الباب المكتشف على مقربة من القيامة في الجهة الجنوبية الشرقية هو باب سور المدينة الثاني . وعلى ذلك يكون موقع القيامة الحالي واقعاً خارج الاسوار القديمة . وقد عارضهم الكتبة المتأخرون وفي مقدمتهم كانون وليمس والسر تشارلس ورن والدكتور روبنصن والجنرال غوردون بقولهم : اذا فرضنا ان موقع القيامة الحالي هو خارج السور الثاني القديم فلا بد ان يكون رسم ذلك السور مغايراً من جميع الوجوه للاصول الفنية والعسكرية في بناء الاسوار . وقال آخرون : هب ان محل القيامة كان خارج السور الثاني فلا شكّ انه كان واقعاً بين ابنية المدينة الجديدة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت حتى اضطر اغريباس الاول بعد ذلك بقليل الى احاطتها بسور ثالث لوقايتها . ومعلوم ان اليهود لم يكونوا ليرضوا

بوجود محل عقاب المجرمين فيما بين بيوتهم لان ذلك محرم عندهم . وقالوا ايضاً ان حالة المدافن الموجودة في كنيسة اليعقوبيين تدل على كونها اقدم كثيراً من عصر المسيح . و يعترضون على الباب المكتشف حديثاً والمظنون بانه باب السور الثاني بانه ربما كان باب الهيكل الذي بناه الصليبيون حول ابنية القيامة . وليته اكتُشف وهم بعد في البلاد ليتمكنوا من الحكم عليه من حيث هيئة بنائه التي يمكن الاستدلال منها على قدميتها . ولعل بعض الخبيرين بهذا الفن يجلو لنا حقيقة ذلك . ورأي هؤلاء المعارضين ان التل المحفورة تحته مغارة ارميا خارج باب العمود شمالي السور بلائم من جميع الوجوه موقع الصلب . فانه شبيه بهيئة الجمجمة وهو على قارعة الطرق وخارج المدينة . وقد اكتشفت حوله مدافن يُستدل من شكلها انها من نوع المدافن التي كانوا يستعملونها في الاعصر المسيحية الاولى . على اننا نؤمل ان تسفر الابحاث المستمرة عن رفع كل اعتراض عن موقع القبر المقدس الحالي الذي لم يختلف فيه المسيحيون حتى القرن الثامن عشر

﴿ محلات اخر ﴾ يوجد عدة محلات اخر جديرة بالذكر كدير الارمن وفيه كنيسة مار يعقوب وهو اكبر بناية داخل اسوار المدينة . ويُظن انه قائم على آثار برج مريمنا وقبر النبي داود وكنيسة العشاء الرباني وهما خارج السور . وهذه المحال الثلثة واقعة على جبل صهيون . والى شرقي المدينة جبل الزيتون وفي سفحه فوق وادي يهوشافاط بستان جثسيماني وعلى قمته محل صعود السيد ومنارة روسية شاهقة تطل على كل الامكنة المجاورة . والى الشمال من المدينة في طرف ابنيتها الجديدة قبور السلاطين ودُعيت بذلك غلطاً لان ملوك يهوذا دُفنوا على جبل صهيون . وقد ثبت انها قبور للملكة هيلانة ملكة اديابيني (بلاد في العربية) تمذهبت بالمذهب اليهودي في القرن الاول ق . م وجاءت القدس مع امراء اسرتها وحفرت في ذلك المكان آباراً وداراً واسعة ومغارة امامية فتحت في جوانبها الاربعة ابواباً الى مغائر اخر داخلية وجعلت فيها دكاناً لوضع النواويس وكل تلك الحفريات في صخر واحد كبير . و باب هذه المغائر كحجر الرحى قائم على حرفه يدحرج على باب القبر وعنه . وقد اكتفينا بالاشارة الى هذه الاماكن واغضينا عن اخرى تاريخية وغير تاريخية خوفاً من ملل القراء ومراعاة لضيق المقام

ولو لم تكن القدس وما ذكرناه عنها ذات اهمية كبرى لما اطلنا الكلام عليها . ولا نظن غير القدس من المدن والاماكن الفلسطينية التي سنتكلم عنها تضطرنا الى اسهاب كهذا الاسهاب